
ق
الموهوبون
الجزء الأول
تأليف ورسوم : شادي السيد

هُـوَ يَعلَـمُ أَنَّـهُ فـي أَقَـلَّ مِـن ثَلاثَـةِ أَيّـامٍ، لا بُـدَّ لَـهُ أَن يَكـونَ قَـدِ انتهـى مِـنَ استِذْكارِ جَـميعِ دُروسِـهِ الَّتـي تَلَقّاهـا طَـوالَ العـامِ الدِّراسـيِّ، وَمَـعَ ذلِـكَ نَجِـدُهُ فـي غُرفَتِـهِ لا يَقْـوى عَلـى تَـرْكِ تِلـكَ الرِّوايَـةِ الَّتـي فـي يَـدِهِ، أَو بِالأَحْـرى الـمُخَبَّأَةِ وَسَـطَ كِتـابِ الفيزيـاءِ، حَتّـى لا تُلاحِـظَ والِدَتُـهُ، فَهِـيَ لا تَكُـفُّ عَـن تَفَقُّـدِ حالِـهِ وَمـا إذا كانَ يُذاكِـرُ أَم لا، كُلَّمـا مَـرَّتْ بِجِـوارِ غُرفَتِـهِ! وَفـي الـحَقيقَةِ، فَـإِنَّ أَمْـجَدَ يَعلَـمُ تَـمامَ العِلْـمِ بِـأَنَّ مـا يَفعَلُـهُ هُـوَ خَطَـأٌ فـادِحٌ لِطالِـبٍ مِثلِـهِ عَلـى وَشْـكِ الانتِقـالِ إلـى الـمَرحَلَةِ الـجامِعيَّةِ، وَلكِـنَّ تَأثيـرَ هـذا العِلْـمِ الوَحيـدَ عَلَيـهِ أَنَّـهُ قَد جَعَلَـهُ غَيـرَ قـادِرٍ عَلـى الاستِمتاعِ بِالرِّوايَـةِ كَمـا يَنبَغي، لَيـسَ إلّا... إنَّـهُ حَقًّـا فـي مَـأزِقٍ، وَلكِـنْ قَـد يَكـونُ هـذا الـمَأزِقُ هُـوَ مـا يَسـتَحِقُّهُ شَـخصٌ مِثلُـهُ فِـعلًا وَالـمُشكِلَةُ أَنَّه حَتّى هذا هُوَ يَعيهِ جَيِّدًا!

"إمّا أَن تَبدَأَ في الـمُذاكَرَةِ بِجِدِّيَّةٍ حالًا، أَو أُخبِرَ أُمّي بِخُدعَتِكَ التّافِهَةِ".

انتَفَـضَ أَمْـجَدُ عِندَمـا سَـمِعَ صَـوتَ أُختِـهِ مَنـارَ، فَقَـد كانَ لِوَهْلَـةٍ مُـستَغرِقًا فـي التَّفكيـرِ الـمُشَتَّتِ مـا بَيـنَ الرِّوايَـةِ بِأَحداثِها الشّـائِقَةِ، وَحَياتِـهِ بِأَحداثِها الـمُزعِجَةِ وَلَـم يَنتَبِهْ لِقُدومِ مَن هِيَ أَكثَرُ إزعاجًا. رَدَّ عَلَيها أَخوها ساخِرًا:

"لا يُمكِنُكِ أَن تَتَسَلَّلي إلَيَّ هكَذا! اطرُقي البابَ أَوَّلًا، حَتّى أَعلَمَ مَتى أُغلِقُهُ بِالتِّرْباسِ!". تَرُدُّ مَنارُ بِلا مُبالاةٍ، بَينَما تَسحَبُ الرِّوايَةَ مِنهُ بِسَلاسَةٍ:

"أَظُـنُّ لَـو كانَ هـذا بِإمكانِـكَ، لَكُنـتَ فَعَلتَـهُ بِالفِعـلِ بَـدَلًا مِـنَ اختِلاسِ النَّظَـراتِ لِرِوايَتِـكَ مِـن وَراءِ كُتُبِـكَ الـمَدرَسيَّةِ، وَلكِنَّـكَ تَعلَـمُ أَنَّ أُمّي لَن تَسـمَحَ بِذلِـكَ حَتّى تَنتَهِيَ فَترَةُ الامتِحاناتِ".

- أَعْطِني هذِهِ! لَيسَ مِن حَقـ...

- لَيـسَ مِـن حَقّـي أَن أَتـرُكَ أَخـي الصَّغيـرَ يُلْقـي بِنَفسِـهِ إلـى التَّهْلُكَـةِ، وَهُـوَ عَلـى وَشْكِ تَـحديدِ مُستَقبَلِهِ، أَلَيسَ هذا ما كُنتَ سَتَقولُهُ؟

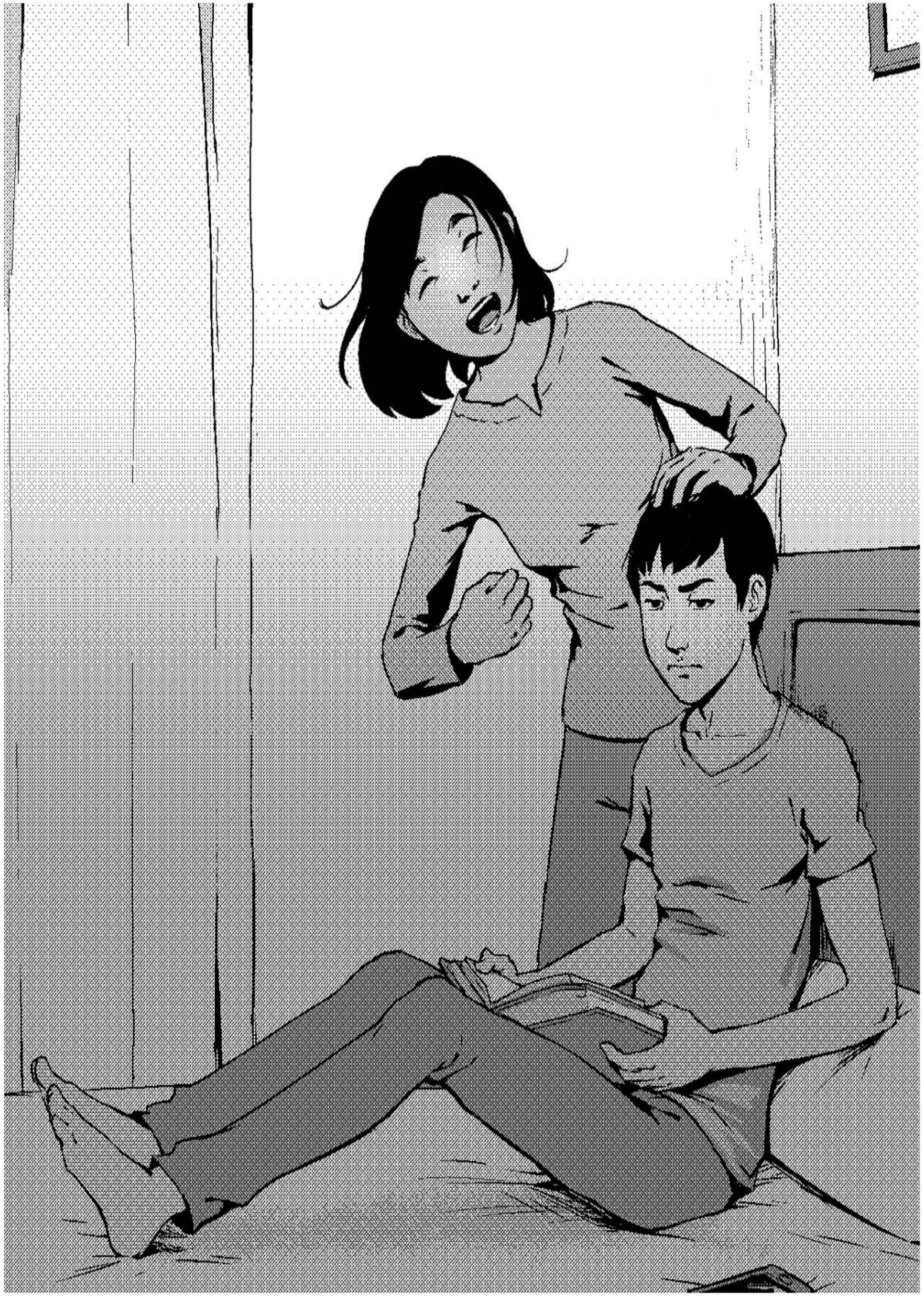
يَنظُـرُ لَـها أَمـجَدُ لِلَحَظـاتٍ، ثُـمَّ تَتَغَيَّـرُ نَظرَتُـهُ لِتَفهَـمَ مـا يُعَبِّـرُ عَنـهُ بِتَنهيـدَةٍ مُستَسلِمَةٍ:

- حَسَـنًا، حَسَـنًا! أَنـا أَعلَـمُ أَنَّـهُ لَيـسَ وَقـتَ قِـراءَةِ الرِّوايـاتِ... أَنـا فَقَـط... لا أَظُـنُّ أَنَّ الـمُذاكَرَةَ سَتَفرُقُ كَثيرًا في هذِهِ الـمَرحَلَةِ، لِأَكونَ صَريـحًا مَعَكِ.

- هـذا هُـراءٌ، لَقَـد أَنهَيـتُ مُذاكَـرَةَ مَنهَـجِ اللُّغَـةِ العَرَبيَّـةِ كُلِّـهِ قَبـلَ الامتِحـانِ بِلَيلَةٍ عِندَما كُنتُ في سِنِّكَ. يُعَلِّقُ أَمْجَدُ ساخِرًا:

"نَعَم بِالطَّبعِ!".

- أَنا جادَّةٌ فيما أَقولُ! اسأَلْ والِدَتَكَ، وَلكِنْ... لا أَظُنُّ أَنَّ تِلكَ فِكرَةٌ جَيِّدَةٌ الآنَ



حَتّى لا تُراوِدَها أَيُّ شُكوكٍ، فَقَط حاوِلْ بِكُلِّ جُهدِكَ، أَنا أَعلَمُ أَنَّكَ ذَكيٌّ وَقادِرٌ عَلى اسْتيعابِ تِلكَ المَوادِّ بِسُهولَةٍ، وَلكِنَّ القَلَقَ هُوَ الَّذي يَجعَلُكَ تَخْشى أَن تُحاوِلَ.

يَنظُرُ لَها أَمجَدُ بِاستِغرابٍ، لَطالَما كانَ يَعلَمُ أَنَّ أُختَهُ تَملِكُ جانِبًا مُتعاطِفًا وَمَسؤولًا خَلفَ كُلِّ تِلكَ المُشاكَساتِ الَّتي تُشاكِسُها لَهُ، ولكِنَّ تلكَ حَقًّا أَوَّلُ مَرَّةٍ يَكونُ بِذلِكَ الوُضوحِ، أَو لَرُبَّما هُوَ فَقَط مَن نَضِجَ بِما يَكْفي أَخيرًا لِيَراهُ.

"حَسَنًا! سَأُحاوِلُ" ما إِنْ تَترُكِ الجُملَةُ فَمَهُ، تُداعِبُ مَنارُ شَعْرَهُ، وَتُخبِرُهُ بِأَنَّهُ "فَتًى شاطِرٌ يَسمَعُ الكَلامَ"، وَهِيَ الكَلِماتُ الَّتي تَعلَمُ جَيِّدًا أَنَّها تَستَفِزُّهُ جِدًّا وَلكِنْ في تِلكَ المَرَّةِ يَستَسلِمُ، وَيَترُكُها تُغادِرُ غُرفَتَهُ، شاعِرًا لِأَوَّلِ مَرَّةٍ بِأَنَّ نَجاحَهُ لَيسَ شَيئًا يَتوقُ لَهُ وَيَتَمَنّاهُ وَحْدَهُ، وَبِشَكلٍ ما يَشعُرُ وَلِأَوَّلِ مَرَّةٍ مِن مُدَّةٍ بِحافِزٍ حَقيقيٍّ لِلمُذاكَرَةِ وَالنَّجاحِ، وَيُفَكِّرُ في نَفسِهِ؛ رُبَّما هذا هُوَ ما كانَ يَحتاجُ إِلَيهِ! وَلكِن لا، لَم يَكُنْ هذا كافِيًا عَلى الإِطلاقِ! لَم يَسَعْهُ الوَقتُ حَتّى لِمُراجَعَةِ ما كانَ يَظُنُّ أَنَّهُ يَعرِفُهُ بِالفِعلِ مِنَ المَنهَجِ، وَهُوَ الآنَ يَركَبُ الحافِلَةَ مُتَّجِهًا لِأَوَّلِ امتِحانٍ، لا يَعلَمُ ماذا سَيَفعَلُ! أَو لَرُبَّما هُوَ يَعلَمُ الآنَ، فَبِهذا النَّحوِ بِالتَّأكيدِ سَيَفشَلُ! وَالأَدهى مِن ذلِكَ أَنَّهُ نامَ مُتَأَخِّرًا جِدًّا بِسَبَبِ القَلَقِ

فاستَيقَظَ مُتَأخِّرًا كَذلِكَ بَعدَما أَغلَقَ مُنَبِّهَ هاتِفِهِ، وَعاوَدَ النَّومَ بِلا وَعْيٍ، لَولا أَنَّ أُختَهُ أَيقَظَتْهُ قَبلَ المُغادَرَةِ لِعَمَلِها، عِندَما لاحَظَتْ أَنَّهُ لَم يَستَيقِظْ بَعدُ.

لَم تَكَدْ تَتَوَقَّفُ الحافِلَةُ حَتّى نَزَلَ مِنها أَمْجَدُ، راكِضًا نَحوَ فِناءِ مَدرَسَتِهِ عَلى الفَورِ، آمِلًا في أَن يَصِلَ قَبلَ ميعادِ بَدْءِ لَجنَةِ الامتِحانِ، وَلكِنَّهُ لَم يَلحَظْ فَتاةً كانَتْ تَسيرُ في الاتِّجاهِ المُعاكِسِ، إلّا حينَ اصطَدَمَ كَتِفُهُ بِها، فَأَوْقَعَها أَرضًا وَتَناثَرَتِ الكُتُبُ الَّتي كانَتْ تَحمِلُها عَلى الأَرضِ مِن حَولِهِما!

"أَنا آسِفٌ جِدًّا! لَم أَقصِدْ، لَم أَرَكِ، أَنا فَقَط مُتَأَخِّرٌ جِدًّا عَلى الامتِحانِ وَ...".

فَجأَةً تَوَقَّفَتْ كَلِماتُ أَمجَدَ في حَلْقِهِ كَغُصَّةٍ يَستَحيلُ عَليها التَّحَرُّكُ، حينَما نَظَرَ لِلفَتاةِ وَأَدرَكَ أَنَّهُ قَدِ اصطَدَمَ لِلتَّوِّ بِإِحْدى أَجمَلِ فَتَياتِ المَدرَسَةِ شيرينَ. قالَ أَمجَدُ مُتَلَعثِمًا، بَينَما بَدَأَ في جَمْعِ الكُتُبِ مِن عَلى الأَرضِ:

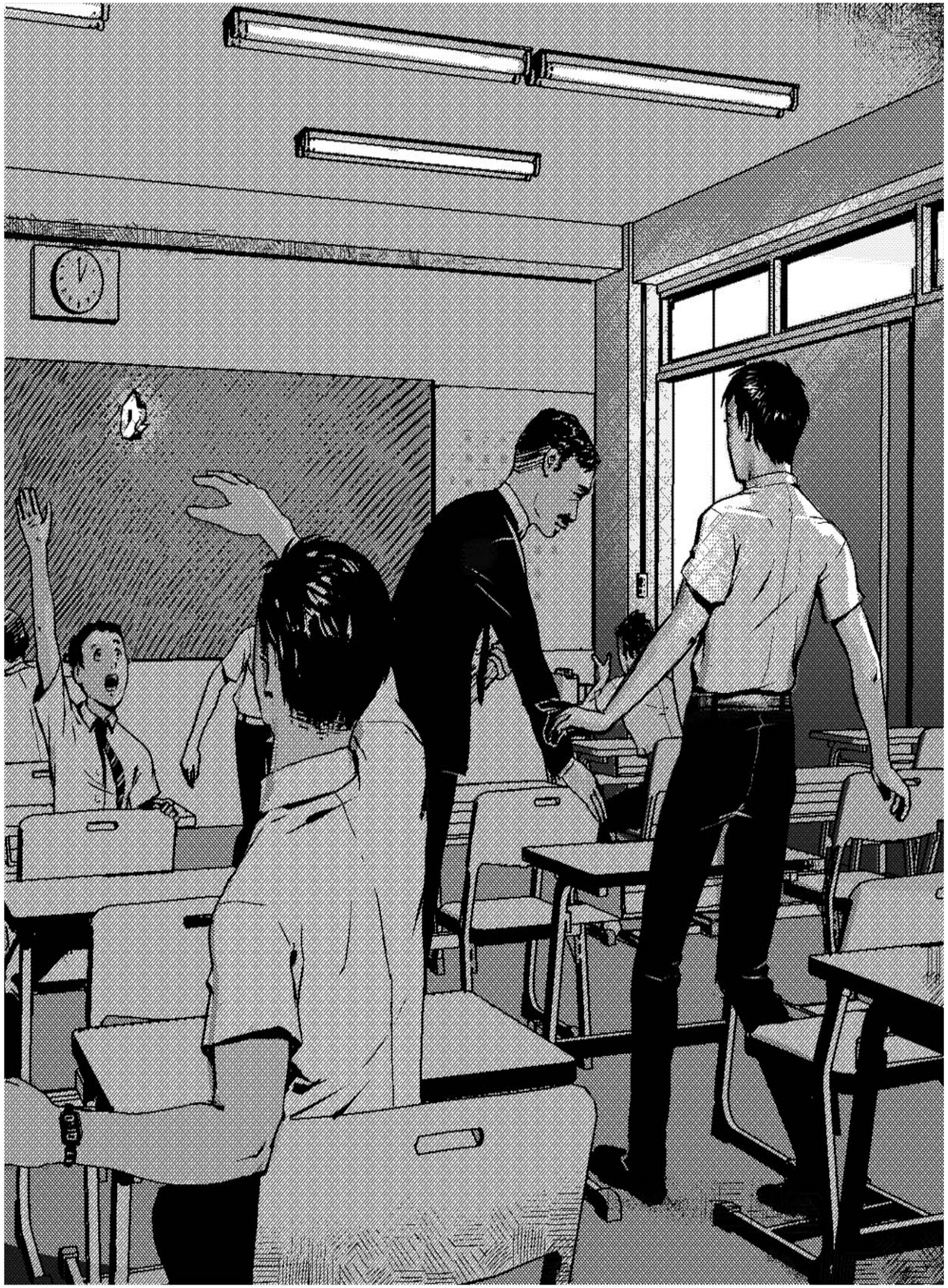
"أَ.. أَنا حَقًّا آسِفٌ جِدًّا، دَ.. دَعيني أَجمَعْ لَكِ تِلكَ الكُتُبَ".

وَلكِنَّهُ نَظَرَ مَرَّةً أُخرى لِشيرينَ، فَرَآها ما تَزالُ عَلى الأَرضِ، عَيناها مُتَّسِعَتانِ تُحَدِّقانِ في الفَراغِ، وَلا يَبْدو أَنَّها أَفاقَتْ مِنَ الصَّدْمَةِ بَعدُ. سَأَلَها أَمجَدُ بِتَوَتُّرٍ: "هَل أَنتِ بِخَيرٍ؟". كانَ سُؤالُهُ ما لَفَتَ انتِباهَها أَخيرًا، فَنَظَرَتْ لَهُ، وَبَدَتْ وَكَأَنَّها تُحاوِلُ أَنْ تَجمَعَ أَفكارَها قَبلَ أَن تَرُدَّ، وَهِيَ تَقِفُ وَتَتَراجَعُ لِلخَلفِ...

"أَنا... أَنا بِخَيرٍ لا تُبالِ بِالكُتُبِ، فَقَط... فَقَطِ اذهَبْ، لَجنَتُكَ قَد تَبدَأُ في أَيِّ وَقتٍ الآنَ".

تَذَكَّرَ أَمجَدُ فَجأَةً، لِماذا كانَ عَلى عَجَلَةٍ مِن أَمرِهِ! رَغمَ ذلِكَ، حاوَلَ أَن يُصِرَّ عَلى مُساعَدَتِها في جَمعِ الكُتُبِ، وَلكِنَّ شيرينَ أَصَرَّتْ في انزِعاجٍ أَن يَذهَبَ وَهُوَ ما فَعَلَهُ بِمَرارَةٍ، وَهُوَ في قِمَّةِ الإِحراجِ. رَغمَ أَنَّهُ وَصَلَ في آخِرِ لَحظَةٍ قَبلَ بَدءِ اللَّجنَةِ، لَم يَستَطِعْ أَمجَدُ سِوى أَن يَشعُرَ بِأَنَّهُ حَتمًا لَن يَنجَحَ في تِلكَ المادَّةِ إِطلاقًا، فَقَد أَجابَ عَلى ما يَقِلُّ عَن نِصفِ أَسئِلَةِ الاختِبارِ وَحَتّى أَغلَبُ إِجاباتِهِ كانَ يَعلَمُ أَنَّها لَيسَتِ الإِجاباتِ الصَّحيحَةَ، وَلَم يَقطَعْ خَيطَ أَفكارِهِ المُتَوَتِّرَةِ





سِوى صَوتِ الـمُراقِبِ، وَهُوَ يُعلِنُ عَنِ انتِهاءِ الوَقتِ، وَيَبدَأُ في جَمعِ الوَرَقِ حينَها شَعَرَ أَمجَدُ بِخَوفٍ لا يَتَذَكَّرُ أَنَّهُ شَعَرَ بِهِ كَثيرًا في حَياتِهِ، بَدَأَ يَتَخَيَّلُ رَدَّةَ فِعْلِ والِدَيهِ حينَ يُكَرِّرُ هذا الفَشَلَ في كُلِّ المَوادِّ الأُخرى، وَكَيفَ سَيُضطَرُّهُ مَجموعُهُ إلى دُخولِ كُلِّيَّةٍ لا يَتَمَنّاها! وَسَتَضيعُ سَنَواتٌ قادِمَةٌ مِن حَياتِهِ في تَعَلُّمِ شَيءٍ لا يُحِبُّهُ، كَما ضاعَتِ السَّنَواتُ مِن قَبلِها؛ لِأَنَّهُ كانَ أَكْسَلَ مِن أَن يَكُدَّ وَيَجتَهِدَ قَليلًا، فَقَط بِضعَةَ شُهورٍ أُخرى... أَو لَرُبَّما سَيَفشَلُ في تِلكَ الكُلِّيَّةِ أَيضًا، وَلَن يُكمِلَ تَعليمَهُ، وَلَن يَجِدَ عَمَلًا، وَسَيَلجَأُ إلى الشّارِعِ، وَلَن تَرْضى بِهِ أَيُّ فَتاةٍ لِتَتَزَوَّجَ...

وَسَطَ كُلِّ تِلكَ الأَفكارِ العَصيبَةِ، مَرَّ قُربَهُ الـمُراقِبُ لِيَأخُذَ وَرَقَتَهُ فَجأَةً فَتَمَسَّكَ بِها كَرَدِّ فِعلٍ تِلقائِيٍّ، وَصَرَخَ فيهِ: "تَوَقَّفْ!"، فَانقَطَعَتْ كُلُّ الأَصواتِ مِن حَولِهِ، وَكَأَنَّهُ فَقَدَ حاسَّةَ السَّمْعِ مَرَّةً واحِدَةً. فَتَحَ عَينَيْهِ، وَنَظَرَ حَولَهُ فَرَأى مَشهَدًا أَغرَبَ مِن كُلِّ ما حَدَثَ لَهُ في حَياتِهِ، حَتّى تِلكَ اللَّحظَةِ. كُلُّ شَيءٍ، وَكُلُّ شَخصٍ مِن حَولِهِ... تَوَقَّفَ فَجأَةً! لَم يَفهَمْ ما يَراهُ! وَلكِنَّهُ تَذَكَّرَ حينَما يوقِفُ حَلْقَةً مِن مُسَلسَلِهِ الكَرْتونِيِّ الـمُفَضَّلِ لِيَقرَأَ التَّرجَمَةَ، وَشَعَرَ أَنَّ هذا هُوَ بِالضَّبطِ ما يَراهُ الآنَ، كُلُّ شَيءٍ حَقًّا قَد "تَوَقَّفَ"!

قامَ مِن جِلسَتِهِ في فَزَعٍ، وَابتَعَدَ عَنِ المُراقِبِ مُتَخَبِّطًا في طاوِلاتِ زُمَلائِهِ مِن شِدَّةِ الارتِباكِ، لا يَعلَمُ ما الَّذي يَحدُثُ! ثُمَّ ذَهَبَ إلى زَميلِهِ في اللَّجنَةِ وَبَدَأَ في هَزِّ كَتِفَيهِ، ولكِنَّهُ لم يتحَرَّكْ قَيدَ أُنمُلَةٍ إلّا عِندَما بَذَلَ أقصى جُهدِهِ؛ حينَها... وعَلى الرَّغمِ مِن أنَّهُ تَحَرَّكَ قَليلًا، فَقَد رَجَعَ لِوَضعِهِ عَلى الفَورِ بمُجَرَّدِ أنْ تَرَكَهُ أَمجَدُ، وَكَأَنَّهُ مُثَبَّتٌ بِقُوَّةٍ ما في الوَضعِ الَّذي "تَوَقَّفَ" عَلَيهِ. حينَها صَرَخَ أَمجَدُ مَذعورًا، فَكُلُّ شَيءٍ كانَ يَبْدو غَيرَ حَقيقيٍّ، وَالهُدوءُ حَقًّا كانَ غَيرَ مَنطِقيٍّ، حَتّى إنَّهُ لَم يَشُكَّ لَحظَةً بِأنَّها خُدعَةٌ أَو مَقلَبٌ ما ففي تِلكَ اللَّحظَةِ، لا شَيءَ في مُحيطِهِ بَدا طَبيعيًّا بِشَكلٍ كافٍ لِيَكونَ مِن فِعْلِ البَشَرِ، وَالدَّلالاتُ كانَتْ في أَبسَطِ التَّفاصيلِ؛ حَتّى الهَواءُ تَوَقَّفَ عَنِ التَّحَرُّكِ تَمامًا، لَوْلا أَنَّهُ يُرغِمُهُ عَلى ذلِكَ في المِساحَةِ البَسيطَةِ حَولَ أنفِهِ عِندَ استِنْشاقِهِ! بَعدَ عِدَّةِ ساعاتٍ مِنَ الرَّكْضِ وَالهَرْوَلَةِ، ثُمَّ المَشْيِ وَالتَّجْوالِ وَمُحاوَلاتٍ كَثيرَةٍ بائِسَةٍ لإيقاظِ النّاسِ حَولَهُ مِن سُباتِهِم، كَما تَخَيَّلَ، لَم يَنجَحْ أَمجَدُ في تَغييرِ أَيِّ شَيءٍ، في الحَقيقَةِ لَم يَنجَحْ أَمجَدُ في تَحقيقِ أَيِّ شَيءٍ طَوالَ هذا اليَومِ، أَو عَلى الأَقَلِّ هذِهِ هِيَ الفِكرَةُ الَّتي بَدَأَتْ تُسَيطِرُ عَلَيهِ عِندَما تَعِبَ مِنَ السَّيرِ بِلا هَدَفٍ، وَوَقَعَ عَلى رُكبَتَيهِ، وَانْهارَ بِالبُكاءِ.

لَم يَستَطِعْ سِوى أَن يُفَكِّرَ في احتِماليَّةِ أَن يَبْقى هكَذا عالِقًا لِلأَبَدِ في عالَمٍ لا يَسكُنُهُ سِوى السُّكونِ، لا تَغرُبُ فيهِ الشَّمسُ أَبَدًا، أَو لَعَلَّهُ قَد جُنَّ، وَكُلُّ هذا في خَيالِهِ! أَهُوَ كابوسٌ يا تُرى؟ هَل إذا عادَ إلى حَيثُ بَدَأَ كُلُّ ذلِكَ وَأَغمَضَ عَينَيهِ وَنامَ، سَيَصْحو مِن هذا الكابوسِ، وَكَأَنَّهُ لَم يَكُنْ؟! قَبلَ أَن يُفَكِّرَ بِمَنطِقيَّةٍ في تِلكَ الفَرَضيَّةِ وَيُنكِرَها، قَرَّرَ أَن يَفعَلَ هذا بِالضَّبطِ، فَقَد سَئِمَ مِنَ التَّفكيرِ بِمَنطِقيَّةٍ في مَوقِفٍ يَرفُضُ أَن يَخضَعَ لِأَبسَطِ قَواعِدِ المَنطِقِ. عادَ مُجْهَدًا إلى فَصلِهِ، وَفَحَصَ طاوِلَتَهُ، بَحثًا عَن أَيِّ شَيءٍ غَريبٍ قَد يَكونُ بَدَأَ تِلكَ الظّاهِرَةَ العَجيبَةَ بِشَكلٍ ما، وَحينَما فَشِلَ حَتّى في ذلِكَ لَم يَقْوَ عَلى أَيِّ شَيءٍ سِوى أَن يَجلِسَ، وَيَدفِنَ رَأسَهُ بَينَ ذِراعَيهِ ثُمَّ بَدَأَ يَستَسلِمُ لِلنَّومِ، هامِسًا أُمنِيَةً يائِسَةً أَخيرَةً:

" لا أَتَمَنّى سِوى أَن تُستَأنَفَ الأُمورُ كَما كانَتْ فَقَط".

وَفَجأَةً، أَفاقَ أَمجَدُ عَلى صَوتِ المُراقِبِ، يَطلُبُ مِنهُ الوَرَقَةَ!

"أَيُّ وَرَقَةٍ؟ نَعَم؟! الوَرَقَةُ! المُراقِبُ تَكَلَّمَ!"

كَأَنَّما أَفاقَ مِن كابوسٍ حَقًّا، وَقَفَ أَمجَدُ فَجأَةً مُستَقيمًا حَتّى كادَ يَصطَدِمُ رَأسُهُ بِذَقْنِ المُراقِبِ، وَلكِنَّهُ لَم يَهتَمَّ

فَقَدِ الْتَفَتَ مِن حَولِهِ لِيَتأَكَّدَ مِن أَنَّ صورَةَ مُحيطِهِ تُلائِمُ ما يَسمَعُهُ مِن حَرَكَةِ الطُّلّابِ وَتَذَمُّرِهِم وَصِياحِهِم، بَينَما يَتَشارَكونَ النَّدَمَ عَلى إجاباتِهِمُ الخاطِئَةِ، نَعَم! لَقَد كانَ الفصلُ حَيَوِيًّا كَما كانَ قَبلَ بَدْءِ كابوسِهِ! نَعَم، لَقَد كانَ كابوسًا، لَيسَ إلّا! هذا ما تَوَصَّلَ إلَيهِ.

رَأى المُراقِبَ يَسحَبُ وَرَقَتَهُ بِانزِعاجٍ، وَيَأمُرُهُ بِالجُلوسِ، وَلكِنَّهُ لَم يَهتَمَّ... فَلِوَهْلَةٍ، فَقَط لِوَهلَةٍ... خَطَرَتْ بِبالِهِ فِكرَةٌ مُرعِبَةٌ، فِكرَةٌ غَريبَةٌ حَقًّا، وَلكِنَّهُ كانَ يَعلَمُ بِداخِلِهِ أَنَّ ما مَرَّ بِهِ لَم يَكُنْ مُجَرَّدَ كابوسٍ عادِيٍّ، عَلى الأَقَلِّ كانَ يَشعُرُ بِذلِكَ، وَكانَ يَخْشى أَلّا يَعلَمَ الحَقيقَةَ أَبَدًا، وَأَن تُعاوِدَهُ تِلكَ التَّجرِبَةُ مُجَدَّدًا بِأَيِّ شَكلٍ، وَلكِنْ... ثانِيَةً، كَيفَ حَصَلَتْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَصْلًا؟ جَلَسَ بِبُطءٍ عَلى مَقعَدِهِ، وَبَدَأَ يَستَغرِقُ في التَّفكيرِ في المَوقِفِ، كَيفَ حَدَثَ بِالضَّبطِ! ثُمَّ تَذَكَّرَ اللَّحظَةَ الَّتي خَرَجَ فيها مِن هذا العالَمِ الجامِدِ الكَئيبِ، وَهُنا تَذَكَّرَ أَحَدَ أَبطالِ رِواياتِهِ الَّذي كانَ قادِرًا عَلى التَّحَكُّمِ في الأَشخاصِ عَبرَ أَمرِهِم شَفَهِيًّا بِأَمرٍ مُعَيَّنٍ... نَعَم، لا بُدَّ أَنَّ هذا هُوَ ما حَدَثَ لِلتَّوِّ! حينَها حَدَّقَ أَمْجَدُ لِرِزْمَةِ أَوراقِ الإجاباتِ الَّتي جَمَعَها المُراقِبُ، عالِمًا أَنَّ وَرَقَتَهُ المُثيرَةَ لِلشَّفَقَةِ لا بُدَّ وَأَنَّها في وَسَطِها الآنَ، وَلَن تَعودَ لَهُ أَبَدًا... ثُمَّ فَتَحَ شَفَتَيهِ وَنَظَرَ نَحوَها نَظرَةَ تَحَدٍّ غَريبَةً، وَهَمَسَ: "تَوَقَّفْ".

لَم يَعلَمْ حُسامٌ ما سِرُّ ثِقَةِ أَمْجَدَ المُفاجِئَةِ بِإجاباتِهِ بَعدَ كُلِّ اختِبارٍ! وَلكِنَّها حَتمًا كانَتْ في تَزايُدٍ مَلحوظٍ، وَهُوَ شَيءٌ غَيرُ مُتَوَقَّعٍ، خاصَّةً وَأَنَّ أَمجَدَ لَم يَكُفَّ عَنِ التَّذَمُّرِ لَهُ بِأَنَّهُ حَتمًا سَيَرسُبُ هذا العامَ.

قاطَعَ حُسامٌ فَجأَةً ثَرْثَرَةَ أَمجَدَ المُزعِجَةَ عَن مَدى سُهولَةِ الاختِبارِ، فَفي هذِهِ المَرَّةِ كانَ يَعلَمُ تَمامَ العِلمِ بِأَنَّ الامتِحانَ كانَ صَعبًا حَتّى عَلى أَكثَرِ زُمَلائِهِم تَفَوُّقًا، وَأَنَّ العَيبَ لَيسَ في قُدُراتِهِ الدِّراسِيَّةِ وَحَسْبُ.

"حَسَنًا يا صاحِبي! إنْ لَم تُخبِرْني بِالسِّرِّ، فَحَقًّا سَتَبدَأُ الشُّكوكُ تُراوِدُني في صَداقَتِنا"



- ماذا تَعْني؟ أَيُّ سِرٍّ؟!

- أَنتَ تعلَمُ ما أَعْني! لَقَد قَضَيتَ ساعاتٍ في هذِهِ السَّنَةِ الدِّراسيَّةِ، وَأَنتَ تَشْكو عَدَمَ قُدرَتِكَ عَلى المُذاكَرَةِ، أَكثَرَ مِن تِلكَ الَّتي قَضَيتَها تُذاكِرُ بِالفِعلِ! وَهذا لَيسَ غَريبًا عَلَيكَ حَقًّا، فَكِلانا يَعلَمُ أَنَّكَ لَم تَكُنْ قَطُّ أَكثَرَ الطُّلّابِ تَفَوُّقًا، وَبِالتَّأكيدِ لَيسَ بَعدَ كُلِّ تِلكَ الأَيّامِ الَّتي قَضَيناها نَلْهو مَعًا، بَدَلًا مِنَ الدِّراسَةِ أَو حَتّى التَّفكيرِ في أَيِّ كُلِّيَّةٍ نَوَدُّ الالتِحاقَ!

- أَ... أَنا لا أُخْفي عَلَيكَ شَيئًا، أَنا فَقَط... أُخْتي أَقنَعَتْني بِأَنَّني أَستَطيعُ الانتِهاءَ مِن مُراجَعَةِ المَنهَجِ قَبلَ بَدْءِ اختِباراتي مُباشَرَةً، إنْ بَذَلتُ مَجهودًا أَكثَرَ، وَهُوَ ما فَعَلتُهُ بِالضَّبطِ!

- هذا هُراءٌ.

- نَعَم!

- لا أَحَدَ يَستَطيعُ أَن يَظَلَّ طَوالَ العامِ لا يُبالي بِدُروسِهِ عَلى الإطلاقِ مِثلَكَ ثُمَّ يُعَوِّضُ كُلَّ ذلِكَ في اللَّيالي القَصيرَةِ قَبلَ امتِحاناتِ آخِرِ العامِ! أَنتَ تَغُشُّ بِطَريقَةٍ ما حَتمًا!

- بِالطَّبعِ لا! وَلَو كُنتُ أَفعَلُ، لَكُنتُ قُلتُ لَكَ!

- إذَن، ها قَد جاءَتْ فُرصَتُكَ!

- وَلكِنّي لا أَفعَلُ! لا أُصَدِّقُ أَنَّكَ لا تُصَدِّقُني! ماذا بِكَ؟ أَنتَ تَعلَمُ أَنَّ الأَصدِقاءَ لا يُخَبِّئونَ الأَسرارَ عَن بَعضِهِمُ بَعضًا! وَبِالتَّأكيدِ لا يَكذِبونَ عَلى بَعضِهِمُ كَذلِكَ!!

نَظَرَ حُسامٌ لِأَمْجَدَ لِعِدَّةِ لَحَظاتٍ، لَم يَستَطِعْ فيها أَن يَمنَعَ نَفسَهُ مِن مُلاحَظَةِ قَطَراتِ العَرَقِ الَّتي تَصَبَّبَتْ مِن عَلى جَبينِهِ، وَلكِنَّهُ قَرَّرَ أَنَّ مِنَ الأَفضَلِ أَن يَترُكَ تِلكَ المَسأَلَةَ عَلى الأَقَلِّ في الوَقتِ الحالِيِّ، فَلا نَفْعَ مِن شِجارٍ بَينَهُما، وَهُما عَلى وَشْكِ الانتِقالِ إلى مَرحَلَةٍ دِراسيَّةٍ جَديدَةٍ تَمامًا فَهُوَ يَخْشى أَن يَنشَغِلا عَن بَعضٍ بِالجامِعَةِ، وَلا يُريدُ لِأَيِّ شَيءٍ آخَرَ أَنْ يُهَدِّدَ صَداقَتَهُما.

رَدَّ عَلَيهِ حُسامٌ مُستَسلِمًا: "حَسَنًا! لا بَأسَ، سَوفَ أُقنِعُ نَفسي بِذلِكَ، إنِ اكتَفَيتَ عَلى الأَقَلِّ مِنَ التَّفاخُرِ بِحُلولِكَ الصَّحيحَةِ في كُلِّ مَرَّةٍ نَنتَهي مِن اختِبارٍ، عَلى الأَقَلِّ راعِ شُعورَ صاحِبِكَ الفاشِلِ يا أَخي!"، فَأَخبَرَهُ أَمجَدُ ساخِرًا أَنَّهُ سَيُحاوِلُ، وَضَحِكا مَعًا، مُتابِعَيْنِ السَّيْرَ في طَريقِهِما مِنَ المَدرَسَةِ إلى مَحَطَّةِ الحافِلاتِ.

لَـم يَكُـنْ أَمـجَدُ مُعجَبًـا بِنَفسِـهِ، وَهُـوَ يَكـذِبُ عَلـى مَـن قَـد يَكـونُ صَديقَـهُ الـحَقيقيَّ الوَحيـدَ الـمُتَبَقِّيَ، فَلَقَـد أَدرَكَ أَغلَـبُ أَصدِقائِـهِ الآخَريـنَ أَنَّـهُ ما تُسَـمّيهِ أُمَّهاتُهُـم بِـ "صَديـقِ السّـوءِ" -عَلـى الأَقَـلِّ دِراسِيًّا- وَقَـرَّروا أَن يَترُكـوهُ لِـمُتابَعَةِ ما فاتَهُـم مِـن دُروسٍ، حَتّـى لا يَرسُـبوا مِثلَـهُ كُلَّ سَـنَةٍ. فَقَـط حُسـامٌ مَـنْ لَـم يَكُـنْ يَهتَـمُّ بِالدِّراسَـةِ بِشَـكلٍ كافٍ حَتّـى يَتَخَلّـى عَـن صَداقَتِهِمـا وَلَـهْوِهِما مَعًـا كُلَّ يَومٍ بَينَ أَلعابِ الفيديو أَحيانًا، وَلَعِبِ الكُرَةِ أَحيانًا أُخرى.

وَلكِنَّـهُ أَيضًـا كانَ يَعلَـمُ أَنَّـهُ لا يَـجِبُ عَلَيـهِ أَن يُـخبِرَ أَيَّ أَحَـدٍ بِسِـرِّهِ... نَعَـم فَالـحَقيقَةُ أَنَّ حُسـامًا لَـم يَكُـنْ بَعيـدًا أَبَـدًا فـي استِنتاجِهِ؛ لَقَـد وَجَـدَ أَمـجَدُ طَريقَـةً مُثلـى لِلغِـشِّ فـي اختِباراتِـهِ بَعـدَ ذلِـكَ الـمَوقِفِ الغَريـبِ الَّـذي مَـرَّ بِـهِ! أَدرَكَ أَنَّـهُ يَسـتَطيعُ إيقـافَ الزَّمَـنِ مِـن حَولِـهِ بِشَـكلٍ مـا، بِمُجَـرَّدِ قَـولِ كَلِمَـةِ: "تَوَقَّـفْ"، وَإِرْغامَـهُ عَلـى الـمُرورِ مَـرَّةً أُخـرى عِندَمـا يَقـولُ: "اسـتَأنِفْ"، أَوِ "استِئنافٌ". وَلَقَـدِ استَعمَلَ تِلـكَ القُـدرَةَ فـي ثَلاثَـةِ اختِبـاراتٍ حَتّـى الآنَ، حَيـثُ كانَ يوقِـفُ الزَّمَـنَ، وَيَقـومُ مِـن مَقعَـدِهِ، وَيُراجِـعُ إِجابـاتِ زُمَلائِـهِ فـي آخِرِ لَـحظَةٍ قَبـلَ انتِهـاءِ وَقـتِ الاختِبـارِ، وَيُـجيبُ عَـن كُلِّ الأَسئِلَةِ بِنـاءً عَلـى أَكثَـرِ الإِجاباتِ تَكْرارًا بَينَهُم، وَيَعودُ إلى مَقعَدِهِ، وَيَقولُ: "استِئنافٌ". فَيَتَحَرَّكُ الـجَميعُ مُـجَدَّدًا، وَيَـجمَعُ الـمُراقِبُ الوَرَقَ، وَكَأَنَّ شَيئًا لَـم يَكُنْ!

فـي الـحَقيقَةِ، كانَ يَتَمَنّـى أَن يَستَطيعَ إِخبـارَ صَديقِـهِ بِكُلِّ هـذا، بَل كانَ سَـيَفعَلُ ذلِـكَ، لَـوْلا أَنَّـهُ كَعادَتِـهِ قَلِـقٌ مِـن نَتائِجِ مِثـلِ هـذا القَـرارِ، فَحَتمًـا سَـيَظُنُّ صَديقُـهُ أَنَّـهُ مَـخبولٌ، وَحَتّـى إِنِ استَطاعَ إثبـاتَ قُدرَتِـهِ لَـهُ، فَقَـد يُـخبِرُ صَديقُـهُ الآخَريـنَ بِهـا ، وَإِنْ فَعَـلَ، فَأَمـجَدُ قَـد قَـرَأَ العَديـدَ مِـنَ الرِّوايـاتِ عَـنِ الـحُكوماتِ وَالـمُنَظَّماتِ الشِّـرّيرَةِ الَّتـي تُـحاوِلُ أَسْـرَ البَطَـلِ الخـارِقِ لِفَحـصِ قُدُراتِـهِ وَإِجْـراءِ التَّجـارِبِ القاسِـيَةِ عَلَيـهِ، لِيَستَطيعوا استِغلالَـها لِأَهْدافٍ حَربِيَّـةٍ أَو شِـرّيرَةٍ ما! بَل إِنَّـهُ يَتَذَكَّـرُ بِضْـعَ رِوايـاتٍ يَضغَـطُ فيهـا الأَشـرارُ عَلـى البَطَـلِ لِتَلبِيَـةِ أَغراضِـهِم، عَبْرَ تَهديـدِهِ بِأَصدِقائِـهِ، أَيْ قَـد يُعـرِّضُ حُسـامٌ نَفسَـهُ لِلخَطَـرِ بِنَفسِـهِ إِذا أَخبَـرَ أَحَـدًا! كُلُّ ذلِـكَ القَلَـقِ وَالتَّفكيـرِ الـمُبالَغِ فيـهِ مَـرَّ بِـهِ أَمـجَدُ بِالفِعـلِ، حَتّـى قَـرَّرَ أَنَّـهُ مِنَ الأَسْـلَمِ لَـهُ وَلِصَديقِـهِ أَن يُـخَبِّئَ هـذا السِّـرَّ عَنـهُ وَعَـنِ الـجَميعِ، عَلـى الأَقَـلِّ حَتّـى يَعلَـمَ -هُـوَ نَفسُـهُ- أَكثَـرَ عَنـهُ، فَهُـوَ لا يَعلَـمُ مـا فيـهِ الكِفايَـةُ بَعـدُ، وَبِمُجَـرَّدِ أَن يَنتَهـيَ مِـنَ اختِباراتِـهِ، سَـوفَ يَبـدَأُ فـي استِكشـافِ قُدُراتِـهِ، وَالبَحـثِ أَكثَـرَ عَنها في الإِنتَرنِت.



شَعَرَ أَمـجَدُ بِالذَّنـبِ يَقِلُّ تَدريجيًّا بِشَأنِ الكَـذِبِ عَلـى صَديقِـهِ، حَتّـى وَصَلَ إلى نُقطَـةٍ جَيِّـدَةٍ، وَقَـرَّرَ أَنَّـهُ وَقـتٌ مُناسِـبٌ، كَـي يُـحاوِلَ النَّـومَ مَـرَّةً أُخرى، فَأَطفَأَ النّـورَ وَذَهَـبَ مُـجَدَّدًا إلـى سَـريرِهِ، وَفِعلًا بَعـدَ بِضـعِ دَقائِـقَ كانَ قَـد غَـطَّ فـي نومٍ عَميقٍ.

فـي اليَـومِ التّالي، فـي طَريقِـهِ إلـى الامتِحـانِ، رَأى وَجْهًـا مَألوفًا يُـحدِّقُ بِـهِ... لَقَد كانَـتْ "شـيرينُ" تَسـيرُ بَيـنَ زَميلاتِهـا، وَتُشـيرُ لَـهُ، ثُـمَّ يَتَبادَلْـنَ النَّظَـراتِ، لا بُـدَّ أَنَّهـا أَخبَرَتْهُـنَّ عَـن ذلِـكَ الـمَوقِفِ الـمُحْرِجِ... كانَ يَتَمَنّـى لَـو اسـتَطاعَ الرُّجـوعَ بِالزَّمَـنِ كَذلِـكَ، حَتّـى يَمنَـعَ تِلـكَ اللَّحظَـةَ البَشِـعَةَ مِـنَ الـحُدوثِ، وَلَرُبَّمـا يَستَطيعُ... عَلَيـهِ أَن يَستَكشِـفَ ذلِـكَ لاحِقًـا بَعـدَ انتِهـاءِ الامتِحانـاتِ، مَـن يَعـرِفُ! لَرُبَّمـا استَطاعَ أَن يُبَـدِّلَ ذلِـكَ الـمَوقِفَ فـي أَوَّلِ مُقابَلَـةٍ جِدِّيَّـةٍ بَينَهُمـا فَيَتَعَـرَّفَ عَلَيها، وَيَتَصاحَبـا حَتّـى... قَطَـعَ تَفكيـرَهُ الحالِـمَ صَـوتُ صاحِبِهِ الـحَقيقيِّ حُسـامٍ حينَمـا نـادى عَلَيـهِ وَصافَحَـهُ، ثُـمَّ تَـمَنّى لَـهُ حَظًّـا مُوَفَّقًـا، وَاتَّـجَهَ كُلٌّ مِنهُمـا إلـى مَقعَدِهِ، مُنتَظِرًا أَن يَدُقَّ الـجَرَسُ، وَيَبدَأَ الاختِبارُ.

كَالعـادَةِ، تَظاهَـرَ أَمْـجَدُ بِأَنَّـهُ يَـحُلُّ الـمَسائِلَ كَما يَفعَـلُ فـي كُلِّ مَـرَّةٍ، وَأَضاعَ ما استَطاعَ مِنَ الوَقتِ حَتّى قارَبَ الامتِحانُ عَلى الانتِهاءِ

حينَها نَظَرَ أَمامَهُ، وَقالَ بِصَوتٍ هامِسٍ: "تَوَقَّفْ"، فَتَوَقَّفَ فَجأَةً كُلُّ شَيءٍ مِن حَولِهِ في لَحظَةٍ، حينَها قامَ مِن مَقعَدِهِ، وَمَعَهُ وَرَقَتُهُ وَقَلَمُهُ، وَبَدَأَ يَمُرُّ عَلى زُمَلائِهِ، وَيُدَوِّنُ الإجاباتِ الَّتي تَتَكَرَّرُ، حَتّى وَصَلَ إلى طاوِلَةِ حُسامٍ وَنَظَرَ إلى إجاباتِهِ، وَوَجَدَ أَغلَبَها تَبْدو خاطِئَةً، فَشَعَرَ بِالذَّنبِ مَرَّةً أُخرى وَلكِنَّهُ لَم يَكُنْ لِيَتَدَخَّلَ، فَإِنَّهُ لَو أَضافَ الإجاباتِ الصَّحيحَةَ بِخَطِّ يَدِهِ سَيُلاحِظُ المُصَحِّحونَ ذلِكَ بِالتَّأكيدِ. وَقَبلَ أَن يَترُكَ طاوِلَةَ حُسامٍ، سَمِعَ صَوتًا فَجأَةً... لَم يَعلَمْ ماهيَّةَ الصَّوتِ بِالضَّبطِ؛ لِأَنَّهُ كانَ خافِتًا لِلغايَةِ، غَيرَ أَنَّ ذلِكَ غَيرُ مُهِمٍّ فَبِالمُقارَنَةِ بِهذا السُّكونِ البَشِعِ النّاتِجِ عَن تَوَقُّفِ الزَّمَنِ، فَإِنَّ صَوتَ وُقوعِ إبْرَةٍ قَد يَبْدو كَصَوتِ بوقِ سَيّارَةٍ، وَكانَ هذا أَوَّلَ صَوتٍ يَسمَعُهُ عَلى الإطلاقِ في مِثلِ تِلكَ الظُّروفِ، وَلكِنَّهُ نَظَرَ حَولَهُ، فَلَم يَجِدْ شَيئًا قَد تَغَيَّرَ عَلى الإطلاقِ، فَقَرَّرَ أَن يَنتَهِيَ سَريعًا مِن جَمْعِ الإجاباتِ، وَيَعودَ إلى مَقعَدِهِ وَيَستَأنِفَ الوَقتَ، وَلكِن قَبلَ أَن يَنتَقِلَ إلى اختِبارِ زَميلٍ آخَرَ، سَمِعَ الصَّوتَ مُجَدَّدًا، وَقَدِ اتَّضَحَ أَنَّهُ أَقرَبُ هذِهِ المَرَّةَ، وَأَنَّهُ قادِمٌ مِن خارِجِ الفَصلِ! وَقَبلَ أَن يُفَكِّرَ في مَعْنى هذا، سَمِعَ الصَّوتَ لِلمَرَّةِ الثّالِثَةِ عَلى التَّوالي، وَفي تِلكَ المَرَّةِ، استَطاعَ بِوُضوحٍ أَن يَتَبَيَّنَ أَنَّهُ صَوتٌ يُنادي بِاسمِهِ!

تَكَرَّرَ الصَّوتُ مَرَّةً رابِعَةً وَخامِسَةً، لكِنْ لِسَبَبٍ ما تَجَمَّدَ مَكانَهُ، وَخَشِيَ أَن يَنظُرَ حَتّى حَولَهُ مُجَدَّدًا، أَو أَن يَبحَثَ عَن مَصدَرِ الصَّوتِ... خَشِيَ أَن يَلمَحَ بَصَرُهُ ما يوجَدُ خارِجَ بابِ الفَصلِ، فَقَد كانَ الصَّوتُ غَريبًا بِصَدًى غيرِ طَبيعيٍّ، جَعَلَهُ يَبْدو كَعِدَّةِ أَشخاصٍ يَصرُخونَ مَعًا، وَلكِنَّ الأَبشَعَ أَنَّ الصَّوتَ كانَ يَتَكَرَّرُ بِشَكلٍ أَسرَعَ، وَيَقتَرِبُ أَكثَرَ مَعَ كُلِّ نِداءٍ، حَتّى أَوشَكَ عَلى الالتِفاتِ وَراءَهُ لِيَتَبَيَّنَ المَصدَرَ، لكِنَّهُ شَعَرَ فَجأَةً بِيَدٍ تُمسِكُ ذِراعَهُ، وَنَظَرَ أَمامَهُ مُجَدَّدًا لِيَجِدَ حُسامًا يَنظُرُ لَهُ بِعَينَينِ بَيضاوَينِ، وَكَأَنَّهُ مَمْسوسٌ، وَبِبُطءٍ فَتَحَ فَمَهُ وَتَكَلَّمَ:



"إيّاكَ أن تنظُرَ، وَإلّا كانَ الـمَوتُ مَصيرًا أرحَمَ لَـكَ!". صَرَخَ أمـجَدُ، وَسَقَطَ أرضًا وَلكِـنَّ حُسامًا لَـم يَترُكْـهُ، فَظَـلَّ مُتَمَسِّـكًا بِذراعِـهِ، وَتابَـعَ حَديثَـهُ الـمَمْسوسَ:

"عَلَيكَ أنْ تَكُـفَّ عَـنِ اللَّهـوِ بِقُـوًى لا تَعلَـمُ عَنهـا، وَعَمّـا قَـد تُسَـبِّبُهُ شَـيئًا عُـدْ إلى مَقعَـدِكَ، وَاستَأنِفِ الزَّمَـنَ حـالًا، وَلا تُغـادِرْ قَبـلَ أن تَقـرَأَ الكِتـابَ الأَسـوَدَ فـي مَكتَبَـةِ الـمَدرَسَةِ اليَـومَ!". ثُـمَّ تَرَكَتْـهُ يَـدُ حُسامٍ فَجأَةً، وَعـادَ إلـى وَضْعِـهِ الَّـذي كانَ عَلَيـهِ عِندَمـا تَوَقَّـفَ الزَّمَـنُ، وَعـادَتْ عَينـاهُ إلـى طَبيعَتِهِمـا، وَلكِـنَّ الصَّـوتَ أَصبَـحَ قَريبًـا لِدَرَجَـةِ أنْ خُيِّـلَ لِأَمْـجَدَ أَنَّ صاحِـبَ الصَّـوتِ واقِـفٌ عَلـى بـابِ الفَصـلِ، فَعـادَ سَـريعًا إلـى مَقعَـدِهِ دونَ النَّظَـرِ إلـى الـخَلفِ، وَصَـرَخَ الكَلِمَـةَ:

"استَأنِفْ!".

"الـمَعذِرَةُ!".

نَظَـرَ أَمـجَدُ حَولَـهُ، فَوَجَـدَ الـمُراقِبَ يَنظُـرُ لَـهُ بِتَعَجُّـبٍ، وَقَـد لَفَـتَ أَنظـارَ بَقِيَّـةِ زُمَلائِـهِ كَذلِـكَ، حَتّـى حُسـامٍ، فَبِالنِّسـبَةِ لِـكُلِّ مَـن حَولَـهُ، بَـدا أَنَّـهُ كانَ جالِسًـا بِهُـدوءٍ قَبـلَ أَن يَصـرُخَ فَجـأَةً دونَ أَيِّ سَـبَبٍ. " آ.. آسِـفٌ، لَقَـد غَفَـوتُ لِلَحَظـاتٍ وَحَلَمـتُ بِكابـوسٍ". قـالَ أَمْـجَدُ قَبـلَ أَن يَـرُدَّ عَلَيـهِ زُمَلاؤُهُ بِالضِّحْـكِ وَالسُّـخرِيَةِ وَلكِنَّهُ لَـم يَهتَـمَّ... كُلُّ ما يَهُمُّ الآنَ هُوَ أَنَّهُ عِندَما نَظَرَ لِبابِ الفَصلِ، لَـم يَـجِدْ شَـرًّا أَو وَحْشًـا لا يَقْـوى العَقـلُ عَلـى تَـخَيُّلِهِ كَمـا تَوَقَّـعَ، بَـل عـادَ كُلُّ شَـيءٍ إلـى طَبيعَتِـهِ السّـابِقَةِ لِلحادِثَـةِ. وَلكِنَّـهُ عَلِـمَ أَنَّـهُ لَـن يَذهَـبَ إلـى بَيتِـهِ مُباشَـرَةً اليَـومَ عَلَيـهِ أَن يَـجِدَ الكِتابَ الأَسـوَدَ، وَلكِنْ... ما هُوَ الكِتابُ الأَسـوَدُ هذا؟

"أَتَسـخَرُ مِنّـي يا فَتـى؟". قالَـتْ أَمينَـةُ الـمَكتَبَـةِ الـمَدرَسِيَّةِ بِانزِعـاجٍ واضِـحٍ لِأَمـجَدَ الَّذي تَوَتَّـرَ أَكثَـرَ، وَحـاوَلَ مَـرَّةً أُخرى:

- إنَّـهُ كِتـابٌ أَخبَرَنـي بِـهِ مُعَلِّمـي، وَلكِـن لا أَذكُـرُ اسـمَهُ، كُلُّ مـا أَتَذَكَّـرُهُ أَنَّـهُ أَخبَرَني أَنَّ لَونَهُ أَسوَدُ، وَظَنَنتُ أَنَّكِ قَد تَعرِفينَ أَيَّ كِتابٍ يَقصِدُ!

- يـا فَتـى! هـذِهِ مَكتَبَـةٌ، بِالتَّأكيـدِ سَـتَكونُ مَليئَـةً بِالكُتُـبِ ذاتِ الأَغلِفَـةِ السَّـوداءِ. أَنصَحُـكَ أَن تَعـودَ إلـى مُعَلِّمِـكَ، وَتَسـأَلَهُ عَـنِ الاسـمِ مُـجَدَّدًا بَـدَلًا مِـن إزْعاجـي بِأَسئِلَةٍ غَيرِ مَنطِقِيَّةٍ، وَأَسرِعْ، فَالـمَكتَبَةُ سَتُغلَقُ بَعدَ قَليلٍ.

لَـم يَسـتَطِعْ أَمـجَدُ أَن يَمنَـعَ نَفسَـهُ مِـن مُلاحَظَـةِ سـوءِ أُسلوبِ أَمينَـةِ الـمَكتَبَةِ الـمُبالَغِ فيـهِ، فَقَـد ظَـنَّ أَنَّ مِثـلَ هـذا الطَّبـعِ لا يوجَـدُ سِـوى فـي الصُّـوَرِ النَّمَطِيَّـةِ لِأُمَنـاءِ الـمَكتَبـاتِ فـي الـمُسَلسَلاتِ وَالأَفلامِ، وَلكِـن لا بُـدَّ مِن أَنَّ شَـيئًا مـا في تِلكَ الوَظيفَـةِ يُحَوِّلُـهُم إلـى أَشـخاصٍ مُتَأَفِّفيـنَ ضَيِّقـي الصَّـدرِ هكَـذا! ثُـمَّ أَنَّـهُ نَظَـرَ حَولَهُ إلى الـمَكتَبَةِ الكَئيبَةِ الَّتي تَـخلو مِنَ الطُّلّابِ تَـمامًا



لا تَـملؤُها سِوى أَرْفُفٍ تَليها أَرْفُفٌ مِنَ الكُتُبِ الـمُتْرَبَةِ الَّتي لا يَلمِسُها أَحَدٌ وَتَفَهَّمَ نَوعًا ما حالَتَها، وَالأَهَمُّ أَنَّهُ خَطَرَتْ لَهُ فِكرَةٌ!

شَكَرَ أَمْجَدُ السَّيِّدَةَ الأَربعينيَّةَ، وَمَضى يَتَجَوَّلُ بِخُطُواتٍ بَطيئَةٍ بَينَ أَرْفُفِ الكُتُبِ، باحِثًا عَن كِتابٍ أَسوَدَ مُحَدَّدٍ، وَبَعدَ بِضعِ دَقائِقَ وَجَدَهُ! إنَّهُ الكِتابُ الوَحيدُ الَّذي لا تَعْلوهُ طَبَقاتٌ كَثيفَةٌ مِنَ التُّرابِ، مِمّا يَعْني أَحَدَ أَمرَينِ، إمّا أَنَّ شَخصًا تَفَحَّصَهُ مُؤَخَّرًا، أَو وَضَعَهُ لَهُ هُناكَ لِكَي يَقرَأَهُ، وَقَد ساعَدَهُ أَيضًا أَنَّهُ كانَ الكِتابَ الأَسوَدَ الوَحيدَ بَينَ أَرْفُفٍ مِنَ المَجَلّاتِ العِلميَّةِ المُلَوَّنَةِ بِشَكلٍ مُثيرٍ لِلانتِباهِ، وَلكِنَّهُ تَجاهَلَ تِلكَ التَّفصيلَةَ، حَتّى يَشعُرَ أَنَّهُ أَذكى قَليلًا. أَمسَكَ الكِتابَ، وَلاحَظَ العُنوانَ: "المَوهوبون" مَحفورًا عَلى الغِلافِ المَصنوعِ مِنَ الجِلدِ الأَسوَدِ. "حَسَنًا، لِنَرَ ماذا يَحْوي هذا الكِتابُ الغامِضُ!".

جَلَسَ أَمجَدُ عَلى أَحَدِ المَقاعِدِ، ثُمَّ أَخَذَ نَفَسَهُ بِشَكلٍ دِراميٍّ وَكَأَنَّهُ عَلى وَشْكِ الغَوصِ في صَفَحاتِ الكِتابِ، وَفَتَحَ الغِلافَ، وَبَدَأَ بِقراءَتِهِ وَمَعَ كُلِّ صَفحَةٍ كانَ وَجهُهُ يَتَقَلَّبُ بَينَ عَدَدٍ مِنَ المَشاعِرِ المُختَلِفَةِ: الحَيرَةُ وَالخَوفُ وَالقَلَقُ وَالدَّهشَةُ.

لَقَد تَكَلَّمَ الكِتابُ عَمّا كانَ يَبحَثُ عَنهُ بِالتَّحديدِ، وَكُلِّ ما يَخُصُّ قُدُراتِهِ

ما جَعَلَهُ كِتابًا عَجيبًا أَقرَبَ إلى نَظَرِيّاتِ المُؤامَرَةِ في مُحتَواهُ. تَكَلَّمَ الكِتابُ عَن فِئَةٍ نادِرَةٍ مِنَ البَشَرِ، سَمّاهُم بِـ"المَوهوبينَ"، وَوَصَفَهُم بِأَنَّهُم أُناسٌ بَينَنا يولَدونَ بِقُوًى خارِقَةٍ لا تَصْحو فيهِم سِوى في سِنٍّ مُعَيَّنَةٍ، لا تَقِلُّ عَنِ الاثنَتَيْ عَشْرَةَ، وَتَختَلِفُ قُدُراتُهُم بِشَكلٍ يَبْدو أَنَّهُ عَشوائِيٌّ، وَلا تُوَرَّثُ، بَل إِنَّها أَصلًا لا تَستَمِرُّ مَعَهُم، وَتَتَلاشى مَعَ كِبَرِهِم في السِّنِّ تَدريجِيًّا، حَتّى تَختَفِيَ تَمامًا في سِنٍّ مُعَيَّنَةٍ أُخرى (غَيرِ مُحَدَّدَةٍ)، وَلكِنْ، كُلَّما ازدادَ قَدْرُ استيعابِ الشَّخصِ عَقلِيًّا لِقُدُراتِه، فَقَدَها في سِنٍّ مُتَأَخِّرَةٍ. تَكَلَّمَ أَيضًا الكِتابُ عَن أَنَّ بَعضَ تِلكَ القُدُراتِ الَّتي يولَدُ بِها هؤلاءِ المَوهوبونَ تَتَسَبَّبُ في تَقارُبِ عالَمِنا مَعَ عَوالِمَ أُخرى، مِمّا يُؤَدّي إلى مُرورِ مَخلوقاتٍ تُسَمّى بِالعابِرينَ وَهِيَ كائِناتٌ تَعبُرُ الحَواجِزَ وَالمِساحاتِ بَينَ العَوالِمِ بيئَةً آهِلَةً لَها، وَتَتَغَذّى عَلى أَيِّ شَخصٍ أَو كائِنٍ يَقَعُ في تِلكَ المِساحَةِ الكَونِيَّةِ بِالخَطَأِ أَو بِالعَمْدِ وَقَد يَحدُثُ لَكَ ذلِكَ بِمُجَرَّدِ النَّظَرِ إلى عُيونِها البَشِعَةِ لِمُدَّةٍ كافِيَةٍ، وَعِندَما تَلتَهِمُ ضَحاياها، فَإِنَّهُم لا يَموتونَ وَحَسْبُ، بَل يُصبِحونَ جُزءًا مِنها لِلأَبَدِ، لا يَتَبَقّى مِن كِيانِهِم سِوى صُراخِهِم بَينَ عَويلِ بَقِيَّةِ ضَحاياها. هُنا تَذَكَّرَ ما حَدَثَ لَهُ مُنذُ قَليلٍ، وَما أَخبَرَهُ بِهِ الصَّوتُ الَّذي تَحَدَّثَ عَبرَ جَسَدِ صَديقِهِ حُسامٍ، وَلَم يُصَدِّقْ أَنَّهُ كانَ عَلى وَشْكِ أَن يَنتَهِيَ بِهِ الأَمرُ إلى هذا المَصيرِ البَشِعِ! في تِلكَ اللَّحظَةِ، قاطَعَهُ صَوتٌ مَألوفٌ مُنزَعِجٌ: "المَكتَبَةُ سَتُغلَقُ حالًا يا فَتى! فَإِمّا أَن تَستَعيرَ هذا الكِتابَ بِشَكلٍ رَسمِيٍّ، أَو تُرجِعَهُ إلى رَفِّهِ حالًا وَتَمضِيَ إلى بَيتِكَ، فَأَنا لا أَنْوي المَبيتَ هُنا، حَتّى تَنتَهِيَ مِن قِراءَتِهِ!".

نَظَرَ أَمجَدُ إلى أَمينَةِ المَكتَبَةِ، ثُمَّ إلى الكِتابِ عِدَّةَ مَرّاتٍ، ثُمَّ جَمَعَ أَفكارَهُ فَجأَةً، وَبِحَماسٍ مُبالَغٍ فيهِ رَدَّ عَلَيها: "أَوَدُّ أَن أَستَعيرَهُ لَو سَمَحْتِ!".

بِشَكلٍ ما، زادَتْ إجابَتُهُ مِن ضَجَرِ أَمينَةِ المَكتَبَةِ، ضَجَرِها الَّذي كانَ في أَقْصى دَرَجَةٍ، فَتَنَهَّدَتْ ثُمَّ أَخَذَتْ مِنهُ الكِتابَ، وَاتَّجَهَتْ لِحاسوبِها في مُقَدِّمَةِ المَكتَبَةِ، وَبَعدَ عِدَّةِ مُحاوَلاتٍ ظَهَرَ عَلى وَجهِها لِأَوَّلِ مَرَّةٍ تَعبيرٌ جَديدٌ، كانَ "الحَيْرَةَ"، ثُمَّ قالَتْ: "غَريبَةٌ! لا أَرى كِتابًا بِعُنوانِ: (المَوهوبونَ) في سِجِلّاتِ المَكتَبَةِ... همم، حَسَنًا! سَأُضيفُهُ إذَن، يَتَوَجَّبُ عَلَيكَ إرْجاعُهُ قَبلَ نِهايَةِ امتِحاناتِكَ".

"نَعَم بِالطَّبعِ!". رَدَّ عَلَيها أَمجَدُ بِحَماسِهِ المُتَزايِدِ، ثُمَّ سَجَّلَ اسمَهُ، وَأَخَذَ الكِتابَ، وَوَضَعَهُ في حَقيبَتِهِ، مُتَّجِهًا إلى مَنزِلِه.

في طَريقِهِ، لاحَظَ سُكونَ المَدرَسَةِ، إذْ غادَرَ مُعظَمُ الطُّلّابِ



مِـمّا جَعَلَ القُشَعْريرَةَ تَسْري فـي جَسَـدِهِ، فَقَـد ذَكَّرَهُ السُّـكونُ بِمـا حَـدَثَ مُنذُ ساعاتٍ قَليلَـةٍ، وَلكِـن سُرعانَ مـا عـاوَدَهُ الـحَماسُ مُـجَدَّدًا، وَأَسـرَعَ فـي سَـيْرِهِ تـارِكًا فِنـاءَ الـمَدرَسَةِ، لا خَوفًـا، وَلكِـنْ تَصميمًـا عَلـى أَلّا يَتـرُكَ خَوفَـهُ وَقَلَقَـهُ الـمُعتادَ يُسَـيطِرانِ عَلـى قُدُراتِـهِ، لَيـسَ هـذِهِ الـمَرَّةَ، فَقَـد شَـعَرَ أَنَّـهُ فِـعلًا مَوهـوبٌ، شَـعَرَ أَنَّـهُ وُهِـبَ قُـدرَةً يَتَمَنّاهـا العَديـدُ مِـمَّن يَقرَؤونَ الرِّوايـاتِ، بِلا أَمَـلٍ حَقيقـيٍّ أَبَـدًا فـي اقتِنائِها، وَقَـد تُغَيِّـرُ تِلـكَ القُـدرَةُ حياتَـهُ بِأَكمَلِها، وَذلِـكَ بِشَـكلٍ مـا مَلَأَ فَراغًـا لَـم يَعلَـمْ بِوُجـودِهِ فـي قَـرارَةِ نَفسِـهِ مِـن قَبـلُ، لَطالَـما تَـمَنّى أَن يَكـونَ مُـختَلِفًا، وَكانَ مُشَـتَّتًا لا يَعلَـمُ لِنَفسِـهِ هَدَفًـا فـي الـحَياةِ، وَلا يَعلَمُ حَتّى أَيَّ كُلِّيَّةٍ يُريدُ الالتِحاقَ بِها!

وَلكِـنَّ تِلـكَ القُـوَّةَ أَشـعَرَتْهُ أَنَّـهُ -لِأَوَّلِ مَـرَّةٍ- مُهِـمٌّ حَقًّـا، وَلَـهُ دَورٌ فـي تِلـكَ الـحَياةِ، دَورٌ قَـد يُؤَثِّـرُ عَلَيـهِ، وَحَتّـى عَلـى غَيـرِهِ لِلأَبَـدِ، وَلا بُـدَّ لَـهُ مِـن أَن يَكـونَ مَسـؤولًا، وَمَـعَ أَنَّـهُ لَـم يَكُـنْ مُتَأَكِّـدًا بَعـدُ، كَيـفَ سَـيَكونُ مَسـؤولًا، إلّا أَنَّـهُ مُتَأَكِّدٌ أَنَّ هذا الكِتابَ هُوَ حَتمًا أَوَّلُ الطَّريقِ لِـمَعرِفَةِ ذلِكَ!


يُتْبَعُ...